قصص الأنبياء

زكريا ويحيى

عليهما السلام

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربى الحديث

زكريا ويحيى (عليهما السلام)

كثُرتْ أنبياءُ اللهِ عَلَى بَني إسْرَائِيل بِسَبَبِ فَسَادِهِم وتحريفهم لشريعةِ اللهِ التي جاءَ بِها مُوسَى (عليه السلام) ، بلْ وقَتلهم الأنبياءَ وتكذيبهم بآياتِ الله.

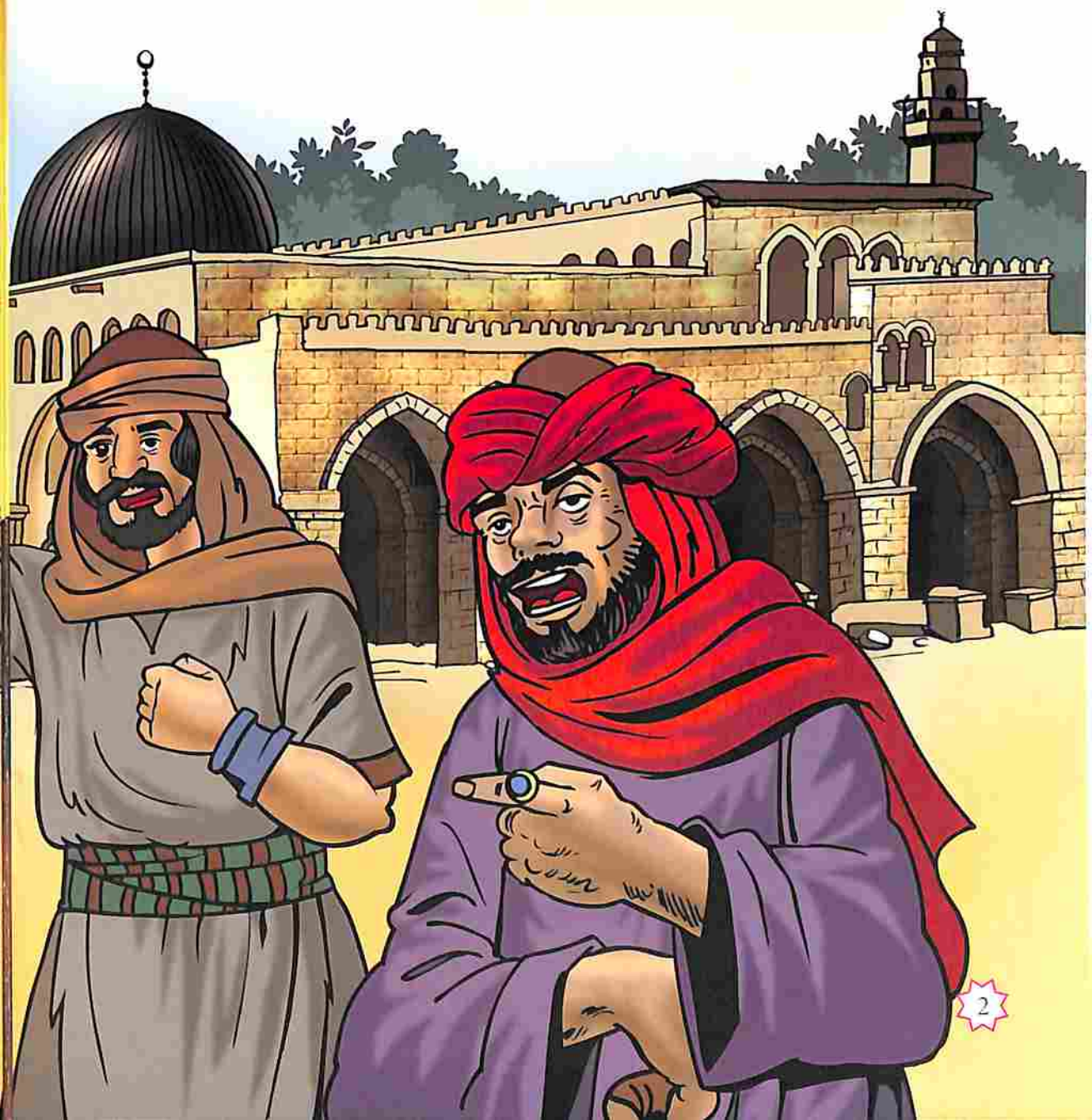

قالَ تعالى: (كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ) [المائدة: ٧٠]

وقبل ميلادِ السَّيدِ المَسِيح (عليه السلام) بسنواتٍ كانتْ الحياةُ داخل المسجد الأقصى الذي بَنَاه سليمان (عليه السلام) تختلف عن الحياةِ خارجه، فالحياة داخله يُظَلِّلُهَا الإيمانُ والحبُّ، أمَّا خارجه فالناس تحرِّكُهم المصالحُ والكذبُ ، ولو على حسابِ الشريعةِ.

وفي هذا الجو أرسلَ الله زكريا (عليه السلام) إلى بني إسرائيل؛ يعظهم ويدعوهم إلى شريعة الله التي جاء بها موسى (عليه السلام) ، وكان زكريا (عليه السلام) متزوِّجًا من ابنة رجلٍ صالحٍ اسمه «عِمْرَان»، وكانت زوجة عمران من العابدات التقيَّات.

ذاتَ يومٍ حملتْ زوجة عُمران ، فشكرتْ الله -عز وجل- ورفعت يديها إلى السماءِ، وقالت: يا رب، الجنين الذي في بطني عندما ألدُهُ نذرته لك وجعلته خادمًا في المسجد الأقصى ، فتقبَّل نذري مني.

ومرَّت شهورٌ، ووضعتْ زوجةُ عِمران مولودَها ففوجئت به أُنثى ،واختارتْ لها اسم «مريم»، وطلبتْ من الله أنْ يحفظَ مريم وذريتها من الشيطان الرجيم.

وُلدتْ مَرْيَم يتيمة، فقد مات أبوها عِمْرَان الرجل الصالح، فذهبت بها أُمُّها بعد انتهاء فترة الرضاعة إلى المسجد، وسلَّمتها إلى العُبَّاد الذين فيه، فأراد الكلُّ أن يكفل مريم ويهتم بتربيتِهَا إكرامًا لأبيها، ثمَّ اتفقوا على إجراء قرعةٍ فيما بينهم، فمن وقعت عليه حاز

الشرف وكفل مريم، وأجروا القرعة، فوقعت على نبي الله زكريا (عليه السلام).

أخذَ زكريا (عليه السلام) مريم، وبدأ في تربيتها وخِدْمتِها حتى كبُرت وصارت تميِّز بين الأشياء، فذهب بها إلى المسجد واتخذ لها مكانًا شريفًا لا يدخله أحدٌ سواها.

كانت مريم تقوم بما يجب عليها من الأعمال في المسجد خير قيام ، وبعد ذلك تتفرَّغ للعبادة ليلًا ونهارًا حتى صارت مثلًا للعِبَادةِ والذِكر.

كان زكريا (عليه السلام) يزور مريم أحيانًا في محرابها ليقضي مصالحها فيفاجأ بما عندها من الرزق، أحيانًا يجد عندها فاكهة في غير أوانها، فيعجب زكريا (عليه السلام) ويسألها: من أين جاءك هذا الرزق؟! فتجيب مريم: من عند الله؛ فالله يرزق الناس بغير حساب.

رأى زكريا (عليه السلام) ذلك، ونظر في نفسه فرأى شعره قد ابْيَضَّ، وضعفت قوَّته، وكبُر سنُّه، ووهنتْ عظامه، ولم يكن له ولد؛ فخاف على بني إسرائيل أن يضِلُّوا بعده، فاشتهى أن يكونَ له ولد يرثه في النبوَّة والحكمة.

دخل زكريا (عليه السلام) محرابَه وبدأ يُصلِّي، ثمَّ دعا ربَّه بصوتٍ خفيض لا يكاد يُسْمَع، قال : يارب قد عوَّدتني يا رب ألَّا تَرُدَّ لي طلبًا. إني أخافُ ضلالَ بني

إسرائيل بعدي؛ وزوجتي أصبحتْ عجوز لا تلد؛ فاجعل لي ابنًا يتولَّى الأمرَ بعدي، ويرث عنِّي العلم والنبوَّة، واجعله يارب صالحًا. فسمع صوتًا يناديه وكانت الملائكة ؛ التي قالت له: إن الله يبشركَ بغلام. عجب زكريا (عليه السلام) وفوجئ بهذه البشارة، كيف يكون له ولد وهوكبير السن، إنَّ عمره الآن حوالي مائة عام، وعمْرُ زوجته يقترب من ذلك! ثم إنَّ زوجته عاقر لا تلد. أخبره الله أنَّ هذه إرادته، وليس أمام إرادة الله إلَّا النفاذ.

فرح زكريا (عليه السلام) بهذه البُشرى، وسألَ الله أنْ يجعل له علامة يعرف بها حمْلَ امرأته، فأخبره الله أنَّه ستأتي عليه ثلاثة أيَّام بلياليهنَّ لا يستطيع الكلام إلَّا بالإشارة، وهو سليم البدن، صحيح الأعضاء.

وذات يومٍ خرج زكريا (عليه السلام) على قومه يدعوهم ويعظهم ، فلم يستطع الكلام ؛ فعرف أنَّ آية الله قد وقعت، وزوجته الآن حامل بابنه يحيى، فأشار إلى قومه بالذِكر والتسبيح.

اكتملتْ مدة الحمل -تسعة أشهر- ، بعدها وُلِدَ يحيى ابن زكريا -عليهما السلام- ، لم يُسمِّهِ أبوه أو أمُّه، بل سمَّاه الله - عز وجل- ، وكان هو أوَّل من سُمِّيَ بهذا الاسم.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ
قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ

سورة آل عمران (٣٨)

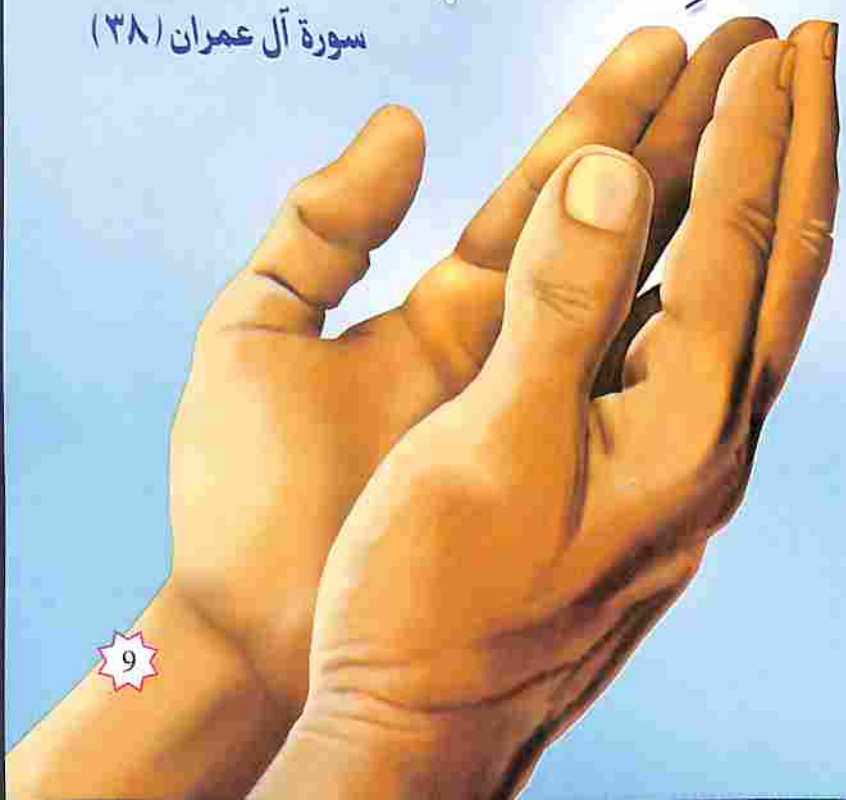

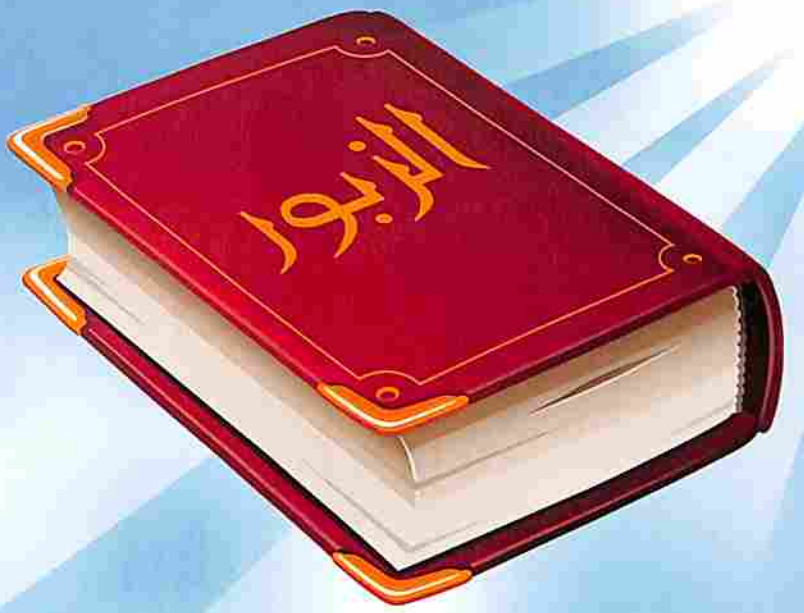

الأولى- اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا؛ فإنَّ من أشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة.

والثانية- آمركم بالصلاة والخشوع فيها.

والثالثة- آمركم بالصيام؛ فإنَّ رائحة فم الصائمِ أطيب عند الله من ريح المسك.

والرابعة- آمركم بالصدقة؛ فتصدَّقوا على الفقراء والمساكين في الدنيا؛ حتى تنجوا من عذاب الله وعقابه في الآخرة.

والخامسة- آمركم بذكر الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا، فإنَّ ذكر الله يجعلكم في حصنٍ حصين من الشيطان الرجيم.

مرَّت سنواتٌ قليلة، كانتْ فيها طفولة يحيى (عليه السلام) تختلف عن طفولةِ غيرِهِ من الأطفال، فقد كان هادئًا لا يحب اللعب ، وكان دائم التفكُّرِ فيما حوله. وذات يوم أتى له بعض الأطفال يدعونه للعب، فقال لهم : ما للعب خُلِقْنا.

ولهذا فقد آتاه الله الحكمة ورجاحة العقل وهو صغير.

ومرتْ سنواتٌ كبر خلالها يحيى (عليه السلام)، وكبر معه حب الله - عز وجل - ، وقد أرسله الله نبيًّا إلى بني إسرائيل مع أبيه زكريا (عليه السلام) يُبين لهم أحكام الشريعة، ويأخذ بأيديهم إلى طريق النور.

خرج يومًا على قومه وقال لهم: يا قوم، إنَّ الله أمرني بخمس كلمات أنْ أعمل بهنَّ، وآمركم أنْ تعملوا بهنَّ:

الأولى : اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا؛ فإنَّ من أشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة.

والثانية : آمركم بالصلاة والخشوع فيها.

والثالثة : آمركم بالصيام؛ فإنَّ رائحة فم الصائمِ أطيب عند الله من ريح المسك.

والرابعة : آمركم بالصدقة ؛ فتصدَّقوا على الفقراء والمساكين في الدنيا ؛ حتى تنجوا من عذاب الله وعقابه في الآخرة.

والخامسة : آمركم بذكر الله - عزوجل - كثيرًا، فإنَّ ذكر الله يجعلكم في حصنٍ حصين من الشيطان الرجيم.

وهكذا كانت حياته بين عبادةٍ لله -عزوجل- ، ونُصْحٍ للناس وتبليغهم أوامر الله، ومساعدتهم ، حتى أحبه الناس.

أمَّا الحاكم في ذلك الوقت فقد كان يكره يحيى (عليه السلام)، وهكذا الطغاة دائمًا يكرهون أهل الصلاح، لكنه لم يصرِّح بذلك حتى لا يثور الشعب عليه.

وذات يوم أراد الملك أنْ يغيِّر حكمًا في الشريعة، وطلب من يحيى (عليه السلام) ذلك ، فلم يوافقه ، فقرر الملك التخلُّص منه وقتله، وأرسل جنوده

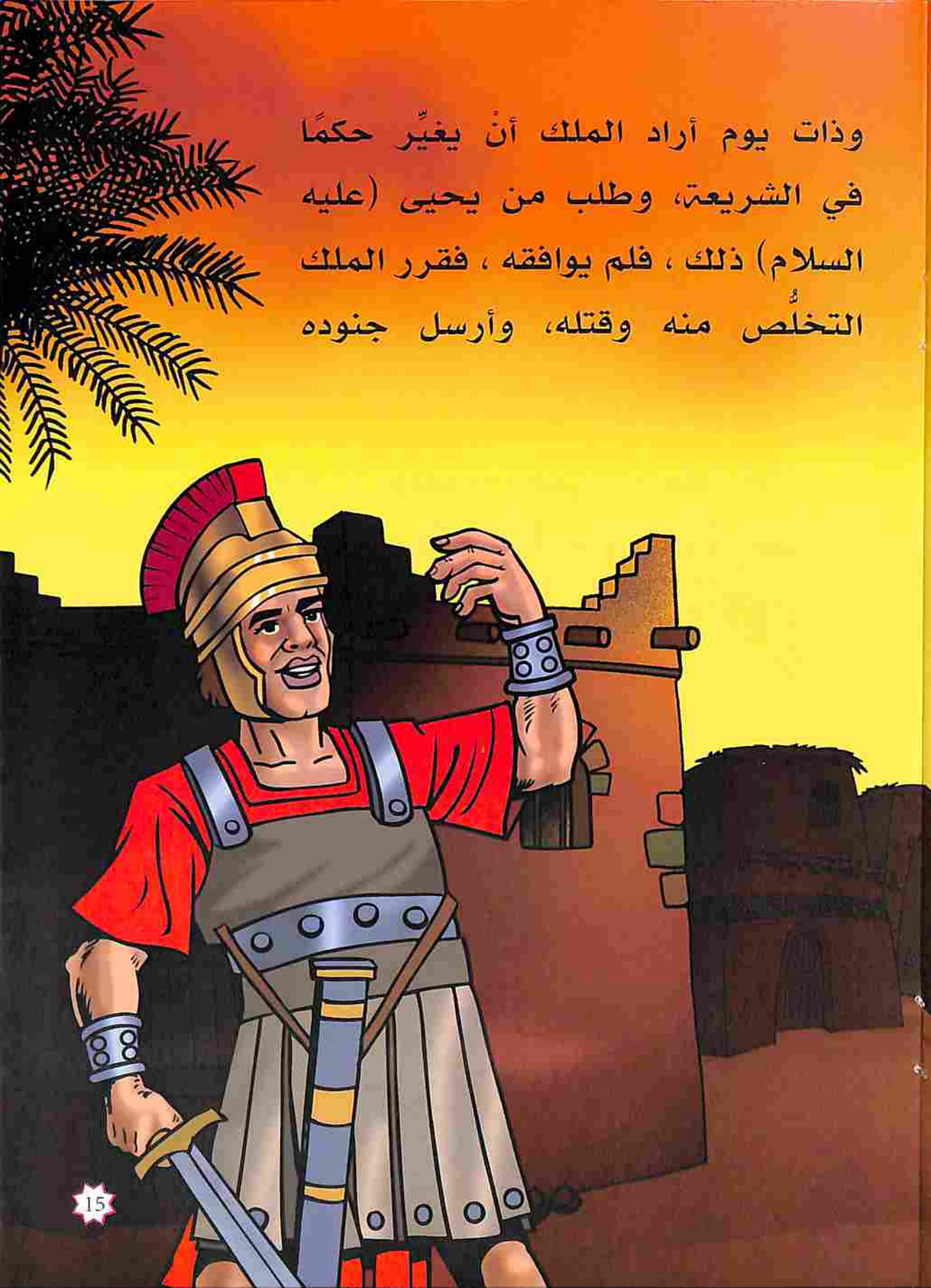

يبحثون عنه حتى وجدوه وقتلوه، ثم قتلوا أباه زكريا (عليه السلام) بعد ذلك ، ومضى كلاهما إلى ربه شهيدًا في سبيله راضيًا مرضيًّا.

عن عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا وخلق فرعون في بطن أمه كافرًا».

المركز العربى الحديث
103شارع الامام على ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603
مكتبة قطان
سوريا - حلب - هاتف: 3211096
E-mail:kattan.egypt@hotmail.com